@ 423 @ ولا تجعلوا حالنا ، حجة لكم على رد ما جئناكم به ، وقولكم : ^ (فائتونا بسلطان مبين) ^ فإن هذا ليس بأيدينا ، وليس لنا من الأمر شيء . ! 2 2 ! فهو الذي إن شاء جاءكم به ، وإن شاء لم يأتكم به ، وهو لا يفعل إلا ما هو مقتضى حكمته ورحمته ، ! 2 2 ! لا على غيره ! 2 2 ! فيعتمدون عليه في جلب مصالحهم ، ودفع مضارهم ، لعلمهم بتمام كفايته ، وكمال قدرته ، وعميم إحسانه ، ويثقون به ، في تيسير ذلك ، وبحسب ما معهم من الإيمان يكون توكلهم . فعلم بهذا ، وجوب التوكل ، وأنه من لوازم الإيمان ، ومن العبادات الكبار ، التي يحبها ا ويرضاها ، لتوقف سائر العبادات عليه ، ^ (وما لنا أن لا نتوكل على ا وقد هدانا سبلنا) ^ . أي : أي شيء يمنعنا من التوكل على ا ، والحال ، أننا على الحق والهدى ، ومن كان على الحق والهدى ، فإن هداه ، يوجب له تمام التوكل ، وكذلك ما يعلم من أن ا متكفل بمعونة المهتدي وكفايته ، يدعو إلى ذلك ، بخلاف من لم يكن على الحق والهدى ، فإنه ليس ضامنا على ا ، فإن حاله مناقضة لحال المتوكل . وفي هذا كالإشارة من الرسل ، عليهم الصلاة والسلام لقومهم ، بآية عظيمة ، وهو أن قومهم في الغالب أن لهم القهر والغلبة عليهم ، فتحدتهم رسلهم ، بأنهم متوكلون على ا ، في دفع كيدهم ومكرهم ، وجازمون بكفايته إياهم ، وقد كفاهم ا شرهم مع حرصهم على إتلافهم ، وإطفاء ما معهم من الحق ، فيكون هذا ، كقول نوح لقومه : ! 2 2 ! الآيات . وقول هود عليه السلام : ^ (إني أشهد ا واشهدوا ، أني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون) ^ 2 ! . 2 ! أي : ولنستمرن على دعوتكم ، ووعظكم ، وتذكيركم ، ولا نبالي بما يأتينا منكم ، من الأذى ، فإنا سنوطن أنفسنا على ما ينالنا منكم من الأذى ، احتسابا للأجر ، ونصحا لكم ، لعل ا أن يهديكم مع كثرة التذكير . ! 2 2 ! وحده لا على غيره ^ (فيتوكل المتوكلون) ^ فإن التوكل عليه ، مفتاح لكل خير . واعلم أن الرسل ، عليهم الصلاة والسلام ، توكلهم في أعلى المطالب وأشرف المراتب ، وهو التوكل على ا ، في إقامة دينه ونصره ، وهداية عبيده ، وإزالة الضلال عنهم ، وهذا أكمل ما يكون من التوكل . ^ (وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجن كم من أرضنآ أو لتعودن في ملتنا فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين * ولنسكنن كم الأرض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد * واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد * من ورآئه جهنم ويسقى من مآء صديد * يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ومن ورآئه عذاب غليظ) ^ لما ذكر دعوة الرسل لقومهم ودوامهم على ذلك ، وعدم مللهم ، ذكر منتهى ما وصلت بهم الحال ، مع قومهم فقال : ! 2 2 ! متوعدين لهم ! 2

2 ! وهذا أبلغ ما يكون من الرد ، وليس بعد هذا فيهم مطمع ، لأنه ما كفاهم أن أعرضوا عن الهدى ، بل توعدوهم بالإخراج من ديارهم ونسبوها إلى أنفسهم ، وزعموا أن الرسل ، لا حق لهم فيها ، وهذا من أعظم الظلم ، فإن ا أخرج عباده إلى الأرض ، وأمرهم بعبادته ، وسخر لهم الأرض وما عليها ، يستعينون بها على عبادته . فمن استعان بذلك على عبادة ا ، حل له ذلك ، وخرج من التبعة ، ومن استعان بذلك على الكفر وأنواع المعاصي ، لم يكن ذلك خالصا له ، ولم يحل له ، فعلم أن أعداء الرسل في الحقيقة ، ليس لهم شيء من الأرض ، التي توعدوا الرسل بإخراجهم منها . وإن رجعنا إلى مجرد العادة ، فإن الرسل من جملة أهل بلادهم ، وأفراد منهم ، فلأي شيء يمنعونهم حقا لهم ، صريحا واضحا ؟ هل هذا إلا من عدم الدين والمروءة بالكلية ؟ ولهذا لما انتهى مكرهم بالرسل إلى هذه الحال ، ما بقي حينئذ ، إلا أن يمضي ا أمره ، وينصر أولياءه ، ! 2 2 ! بأنواع العقوبات . ! 2 2 ! أي : العاقبة الحسنة التي جعلها ا للرسل ومن تبعهم ، جزاء ! 2 2 ! عليه في الدنيا ، وراقب ا مراقبة من يعلم أنه يراه ، ! 2 2 ! أي : ما توعدت به من عصاني ، فأوجب له ذلك ، الانكفاف عما يكرهه ا ، والمبادرة إلى ما يحبه ا . ! 2 2 ! أي : الكفار ، أي : هم الذين طلبوا ، واستعجلوا فتح ا وفرقانه ، بين أوليائه وأعدائه ، فجاءهم ما استفتحوا به ، وإلا فا عليم حليم ،